يوسف مصطفى القاضي ومقداد يالجن
- ❖ دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1981، مطبعة منيمنة الحديثة، بيروت – لبنان [463 صفحة من القطع المتوسط].
- ❖ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.
- ❖ مجال البحث (الكتاب): أسلمة علم النفس (علم النفس التربوي).

❑ ❑ ❑

يذكر المؤلفان أن هدفهم من هذا الجهد هو اقتران العلم بالإيمان تلبية لأمر الله في ذلك، وتيمناً بهدي رسول الله ﷺ دون إهمال النظريات العلمية الوضعية التي درست ونوقشت لتبيان فوائدها ومحاسنها ونواحي قصورها ومآخذها: إما لتؤخذ عن بينة بها وإما أن تستبعد عن معرفة وفهم لها. كما سعى المؤلفان إلى تبيان بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة عن طريقة التربية الإسلامية بغية بناء جيل مؤمن بربه، متحل بالعلم والمعرفة، يعرف حقوقه وواجباته، ويسارع في الخيرات لكل الناس حيثما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يوزع محتوى الكتاب في ثلاثة أبواب:

❋ الباب الأول في أساسيات علم النفس التربوي في الإسلام

- يتناول فصله الأول مكونات النفس الإنسانية ودوافعها الأساس: مرة من وجهة نظر علماء النفس والتربية وأخرى من وجهة نظر الإسلام في مكونات وجوانب الطبيعة الإنسانية.
- ويدخل الفصل الثاني في حقيقة الطبيعة الإنسانية (بين الخير والشر) ودور التربية في تغييرها. ويعرض الكتاب حقيقة الطبيعة الإنسانية ودور التربية في تغيير الطبيعة الإنسانية وتشكيلها من وجهتي نظر المربين والفلاسفة من طرف، والتربية الإسلامية من طرف آخر.
- وكذلك تم عرض مراحل التربية الإسلامية للإنسان (هكذا سماها المؤلفان) ومقارنة تقسيم هذه المراحل من قبل أهل التربية المعاصرة بوجهة نظر الإسلام في تقسيم تلك المراحل، وتصنّف

في الكتاب إلى مراحل: قبل الميلاد، الرضاعة، الحضانة، التمييز، البلوغ والشباب، الرشد، الشيخوخة. وبعدها يستعرض المؤلفان المبادئ العامة للتربية الذاتية.

* أما الباب الثاني للكتاب فيتخصص في التربية والتكوين العلمي للإنسان:

- يبدأ الباب بالإسلام وتكوين الإنسان الكامل ليستعرض مفهوم الإنسان الصالح، التربية في الإسلام، النمو من النواحي الفكرية: العقل والتفكير ثم الأمور التي تساعد الطفل على التفكير ونمو العقل.
- ثم تنمية النواحي الاجتماعية بعد الجانب التربوي ليتحدث عن الإنسان ككائن اجتماعي في طبعه أولاً، ثم التكافل والتآخي الاجتماعي في الإسلام ثانياً، ليصل إلى وصف المجتمع الصالح ثالثاً.
- الناحية الثالثة في التكوين العلمي للإنسان هي تنمية النواحي الخلقية والنفسية: كيف تواجه التحديات، العفو عند المقدرة، ثم تطهير النفس من العيوب.
- والناحية الجسمية هي الناحية الرابعة في التكوين - بحسب عرضها في الكتاب - ليستعرض مفهوم وأهداف تربية الجسم في الإنسان ثم دور العبادات ومنافعها في هذه التربية.
- ثم يفصِّل الكتاب في التعلم ليفنِّد الباحثان نظريات التعلم في علم النفس التربوي المعاصر من وجهة نظر إسلامية: حيث يدخل الكتاب في نظريات التعلم (هربارت، بافلوف، ثورندايك، هل) لتحاكم من خلال معايير المنهج العلمي بعد محاكمتها إسلامياً. دون أن يبخس المؤلفان الفوائد التي يمكن أن نجنيها من نظريات التعلم.
- وبعد نظريات التعلم يستعرض الكتاب مراحل نظريات التعلم

(التدريب الشكلي، التجارب الميدانية، انتقال أثر التدريب والتعلم) والتطبيقات التربوية لها والخصائص المتميزة لكل من نظريتي الإرتباط والتعلم بالمحاولة والخطأ والتعلم الشرطي، ثم تبيان مجالات الاتفاق والاختلاف بين هذه النظريات.

* أما الباب الثالث والأخير من الكتاب (ويحتل الجزء الأعظم من الكتاب) فهو النحو لبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة الخيّرة. ويرى الباحثان أن هذا النحو يمكن أن يتم من خلال:

- البناء الإعتقادي للشخصية الإسلامية عن طريق تربيته. فبعد أن يتحدث المؤلفان عن دور العقيدة في السلوك يحددان ميدان هذه التربية الإعتقادية أو الإيمانية ووسائلها وطرقها العامة. ويذكر الباحثان ست خطوات لذلك:

  - تجنب اتباع طريقة التلقين الصوري.
  - التركيز على الجوانب الايجابية للعقيدة الإسلامية (هل هناك جوانب سلبية؟).
  - تكوين الرغبة في الإعتقاد قبل ذكر أدلة الإعتقاد.
  - استخدام الأدلة البدهية.
  - استخدام الحقائق والمكتشفات العلمية.
  - تكوين عاطفة قوية دافعة إلى السلوك بموجب الإيمان.

- ثم البناء العلمي للشخصية الإسلامية عن طريق التربية العلمية الإسلامية، ابتداءً بأهداف التربية الإسلامية من توخي العلم وطلبه إلى فضل العلم وطلبه، ووجوبه والهجرة في طلبه في الإسلام، ثم مفهوم التخصص العلمي في الإسلام وأخيراً تعليم المرأة في الإسلام.
- وبعد البناء العلمي يأتي البناء الروحي للشخصية الإسلامية، أي عن طريق التربية الروحية حيث يرى المؤلفان أن لها سبعة جوانب:

- تنشئة الطفال على عبادة الله منذ المراحل التربوية والتعليمية الأولى.
- تحلية النفس وتزكيتها وتطهيرها من الرذائل والنيات السيئة.
- ممارسة الرياضة الروحية بأساليبها في ميادينها المختلفة.
- تكوين شعور لدى الناشئ بأنه بحاجة مستمرة إلى الله.
- تدريبهم على ممارسة ذكر الله بالأسلوب التربوي.
- تكوين الوعي الكامل بأهمية وضرورة الحياة الزوجية للحياة الإنسانية: كحاجة أساس في الطبيعة الإنسانية، الدور الوقائي لها.
- دروها الأساس في سعادة الإنسان وتساميه وتكامله وتقدمه في الحياة الإنسانية المختلفة.

- البناء الإبداعي للشخصية الإسلامية (عن طريق التربية الإبداعية الإسلامية كذلك) بكل أنواعه: الخلقي، الجمالي، الكلامي، المعرفي، الأخلاقي السلوكي، العقلي، العلمي العملي.

ثم يبين الكتاب بعد ذلك الأمور الواجب ملاحظتها في تربية الذات والأبناء من خلال الإبداع الكشفي التجديدي والإبداع الذاتي.

- والبناء الرابع للشخصية الإسلامية هو البناء الخلقي والاجتماعي، الذي يمكن بناؤه عن طريق التربية الأخلاقية الإسلامية لتكوين بصيرة أخلاقية، وتنمية الإستعداد والإلتزام بالمبادئ الأخلاقية وتنشئة الطفل عليها وتنمية قوة الإرادة عنده.

ويستعرض الكتاب خمس خصائص للمفهوم الإسلامي للتربية الأخلاقية:

عمقها وشمولها، تكاملها، تسلسلها، أصالتها، تنمية مفاهيمها.

أما في الجانب الاجتماعي فإن هذه التربية تتميز في تنمية: روح المحبة وكره الشر، روح الأخوة الإسلامية، الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية.

ثم يخلص البناء الخلقي الاجتماعي بمفهوم وحاجة ترابط المصالح العامة

من خلال تنمية الخضوع للنظام الأخلاقي أولاً، ثم روح التعلق بالمجتمع ثانياً.

- وهناك تربية صحية إسلامية لأجل البناء الصحي للشخصية الإسلامية من خلال تأدية الفرائض الإسلامية المساعدة على حفظ صحة البدن: الوضوء، نظافة الثوب، الحلق وتقليم الأظافر، السّواك، التغذية، الرياضة، الصوم، الجهاد، السباق، الرماية.
- وأخيراً يعرض الكتاب مفهوم التوجيه والإرشاد في الإسلام لبناء العلاقات الإنسانية بين الناس ولتسود روح التناصح والتآخي والتفاهم بينهم. ثم يعطي المؤلفان أهدافاً عامة خمسة للتوجيه: كسب ثقة الناس، الشعور بالإنتماء للأمة، المساعدة في العمل التعاوني، تفسير وشرح الحاجات المتغيرة في المجتمع، تنمية القدرات الفردية.

وفي آخر العرض يتم طرح ومناقشة مشكلات التوجيه التربوي والقضايا والاتجاهات المعاصرة فيه.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

علم النفس التربوي في الإسلام، أسلمة علم النفس، التأصيل الإسلامي لعلم النفس، نظريات التعلم، التربية الإسلامية، الشخصية الإنسانية، الشخصية الإسلامية وتنميتها، التوجيه والإرشاد في الإسلام.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- مرة أخرى يعتذر السارد عن عدم الدخول في تفاصيل محتوى الكتاب وذلك لضخامته ودسامته في ذات الوقت. والمَسَرد لا يتحمل مثل هذا التفصيل والمتابعة والملاحقة لمئات المفاهيم والمصطلحات التي أتى عليها المؤلفان ليشذبوها أو يعدلوها إسلامياً. فما سرد أعلاه إنما هو تتابع للعناوين الرئيسة الكبيرة في الكتاب حسب.

- لقد استطاع المؤلفان أن يعطوا إطاراً شاملاً متكاملاً تقريباً عن التربية الإسلامية للفرد المسلم من خلال طروحات علم النفس التربوي الإسلامي (أي المؤصل إسلامياً) وقد كان لهما - أي للمؤلفين - عمق في جوانب أربعة:
  - عمق وقدرة انتقائية وتحليلية جيدة لمفاهيم ومواضيع علم النفس التربوي المعاصر
  - عمق وهدفية أو قصدية رسالية في كيفية توجيه مفاهيم علم النفس التربوي إلى تربية المسلم من طفولته حتى بلوغه
  - إلمام ومتابعة دقيقة للأحاديث النبوية الشريفة (مع توثيقها بسندها)، على غير ما جاءت عليه كتب كثيرة في هذا المجال اقتصرت على الآيات القرآنية دون السنة النبوية المطهرة بسبب حاجتها - أي عرض السنة - لمجهود أكبر وفهم أعمق
  - إحاطة متميزة بالتراث الإسلامي في هذا المجال (التربية الإسلامية)
- لقد أقحم المؤلفان موضوع الشخصية الإنسانية وتنميتها في مجال علم النفس التربوي، فالعادة جرت في كل مداخل علم النفس تقريباً على جعل (الشخصية) عنواناً رئيساً من بين العناوين الرئيسة الكبرى في علم النفس المعاصر. أما علم النفس التربوي المعاصر فلا يدخل في مفهوم (الشخصية) وإذا مرّ عليها فإنه يمر عليها مرور الكرام.

وهنا أبدع المؤلفان كثيراً جداً في عدم الفصل بين رؤوس ثلاثة لا يمكن الفصل بينها أساساً: منطقياً وعلمياً وهي:

علم النفس التربوي، الشخصية الإنسانية، والتربية الإسلامية.

- بل وجعل المؤلفان أكثر من نصف كتابهما عن الشخصية الإنسانية وكيف يجب أن تنمّى إسلامياً سواءً بجوانبها الخلقية، النفسية، الاجتماعية، الصحية، الروحية والعلمية. مثل هذا الربط المحكم بين العناصر أو رؤوس المثلث الثلاثة، أدى لتصبّ في النهاية في الهدف

الأسمى لنا جميعاً وهو تربية وتنشئة الفرد المسلم لينشأ في طاعة ربه وخدمة نفسه وأهله وأمته وعمارة الأرض وخلافتها.

ومثل هذا التوجه والطرح يعتبر رائداً وعملاً مبدعاً في هذا المجال.

❑ ❑ ❑